

تاريخ القرآن

(45) لاستكمال الرسالة وضرورة تطبيقها، ومواكبة الوحي لهذه الأحداث والأزمات والمؤشرات دليل على أصالة هذا المنهج المتناسب تاريخيا وزمنيا مع مرحلة الظروف. 10 - وهناك العلاقة الثنائية بين الوحي والنبى صلى الله عليه وآله وسلم وهناك التجاوب المطلق بينهما، وكان تحقق ذلك في التدرج بالنزول، وكانت الأزمات وهي تحاول أن تعصف بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم تضرب فجأة بإرادة الوحي الإلهي، فهو إلى جنبه، يشد عزمه، ويقوي أسرته، ويسلّيه تارة، ويعزيه تارة أخرى، ويصبره ويؤسيه، فيما يقتضيه من الأنباء، وما يورده من الصبر، وما يحدده من الأحكام، مفرقا بين الحق الثابت الرصين، والباطل المتزعزع الواهن، وفي ذلك تثبيت له على المثل، وتحريض له على المثابرة، وإعلام له بالنصر، لأنها سنة الله مع رسله وأنبيائه. وهناك أسئلة تتطلب الإجابة المحددة. وحوادث تستدعي القول الفصل، ولا يضمن هذا إلا الوحي فيما ينزل به، فقد سأله عن الخمر والميسر، وسأله عن المحيض، وسأله عن القتال في الأشهر الحرم، وسأله عن الأهلّة، وسأله عن الساعة، وسأله عن الروح، وسأله عن الأنفال، وسأله عن الجبال، وسأله عن ذي القرنين.. وهكذا، فتصدر الوحي للإجابة الفاصلة... واستفتوه في النساء، واستفتوه في الكلاله، فأفتاهم الوحي عن الله. ووقع الظهار، والايلاء، وحادثه الإفك وغنموا في الحرب، وحصل الزنا، ونزلت السرقة، وبدأ القتل العمد والقتل الخطأ، وهي حوادث متعددة، وقد نزلت أحكامها المتعددة، وهكذا. إن الإحصاء الدقيق لهذه الجزئيات قد لا ينتهي إلا بصفحات كبيرة لا يتسع لها هذا البحث، وفيما أشرنا له غنية في التمثيل التطبيقي. 11 - وهناك ملحظ جدير بالأهمية في الوحي التدريجي، يعود إلى التنزيل نفسه، ليحكم فيه ناحيتين: الأولى: أنه ليس من كلام البشر، وإنما هو من كلام الله وحده، وذلك أن هذه المراحل المتعددة التي مر فيها، لم يحصل فيه تفاوت في